أثر المصدر
فى التعبير اللغوى

إذا كان لدينا فى اللغة فعلٌ دال على نوع الحدث ، والفاعل الذى قام بالحدث، فما حاجتنا إلى استعمال المصدر فى التعبير اللغوى ؟

والجواب : أن التعبير اللغوى ليس مقصورا فى صيغه على بيان الزمن والفاعل ، والمواقف اللغوية فى كشفها عن معنى من المعانى ، لا تقف عند ذكر الفعل والفاعل ونوع الزمن ، بل هى مواقف يجرى تناولها من مناح مختلفة ، وفى صور متغايرة ، تبعا للفكرة التى يتناولها القائل وتبعا للأسلوب الذى يؤدى إلى إيضاح هذه الفكرة ، بما يشمله الإيضاح من إيجاز أو إطناب أو تعميم أو تخصيص أو بيان الزمن ، أو عدم الحاجة إليه ، أو بيان الفاعل أو عدم الحاجة إليه .

من المواقف اللغوية ما يقتضى أن نستعمل اللفظ الدال على المعنى المقصود مجردا من دلالته على زمن ، أو دلالته على الذات الفاعلة ، ذلك اللفظ : هو (المصدر) كلفظ : (العلم - التفوق - الإنسانية - ملعب - مسقط - أن نقول - كى نقول - ما نقول ...) .

فالمصدر ركن ركين فى كثير من صور التعبير ، بل إن نجاح الإفصاح عن معنى معين فى موقف معين ، قد يكون رهينا باستعمال المصدر . ومثال هذا أن يقول قائل: (لقد كانت محاولات الانتعاش الاقتصادى ، هدفا من أهداف التخطيط المتعلق بسلامة الحياة) .

كل مصدر فى هذه الجملة الطويلة يفرض وجوده ، لكى يأخذ التعبير توازنا لفظيا ، وصياغة فى مفرداتها على نحو يصل به القارئ إلى المعنى المراد وصولا موجزا لا ينشغل فيها ذهن القارئ أو السامع بتفريع التركيب ، لو أن الجملة خرجت عن هذه الصورة اللفظية إلى صورة أخرى يعانى منها القارئ أو السامع مغالبة التركيب ، كما يعانى القائل أو الكاتب مغالبة التأليف بين الكلمات ، إلا إذا اقتضى

الموقف اللغوى أن يبسط القائل أو الكاتب مفردات عبارته بذكر الزمن والفاعل والحدث ، بسطا لا يغنى فيه المصدر وحده .

وغير هذا ، أن مصدرا فى جملة ، قد لا يغنى عنه مصدر آخر من أنواع المصادر؛ ذلك لما يتصف به كل مصدر من الدلالة المتعلقة به . فحين يقول قائل : (الإيمان هو الذى يوجه سلوك الإنسان) نجد أن استعمال المصدر الصريح هنا ، أنسب وأوفق من استعمال المصدر المؤول ؛ لأن القصد - فى الجملة - إلى ذكر المصدر مجردا من الدلالة على مخاطب بعينه ، أو زمن بعينه ، كما يقول شخص لآخر : (أن تسافر فى الصباح خير من أن تسافر فى المساء) فاستعمال المصدر المؤول هنا ، هو إشارة إلى إمكان حدوث الفعل ، وإشارة إلى أن الحديث موجه إلى مخاطب بعينه . وإشارة إلى زمن حدوث السفر ، وهو (الحاضر ، أو المستقبل) . وليس فى المصدر الصريح ما يوضح بجلاء ما دل عليه المصدر المؤول فى هذه الجملة ، لو أنه قال : (سفرك فى الصباح خير من سفرك فى المساء) ففى هذا الاستعمال عموم يصلح لموقف لغوى آخر .

ومثل هذا يقال عن بقية أنواع المصادر ، حيث يتخذ كل مصدر دلالة له ، لا تغنى عنها دلالة مصدر غيره . وإلا فما كان أغنى اللغة عن أنواع المصادر ، اكتفاء بواحد منها ، لكن اللغة لا تقف فى أداء المعنى عند صيغة واحدة ، والمواقف اللغوية - على تعددها - لا نعبر عنها من خلال اللفظ الواحد الثابت الذى لا يتغير ، لأنه أمر يدخل فى نطاق المستحيل .

ويجدر أن ننقل هنا ما نقله (عباس حسن) من أحد محاضر جلسات المجمع اللغوى - على لسان أحد الأعضاء - حيث قال عن المصدر الصناعى : «حاجتنا إلى المصدر الصناعى ماسة فى علم الكيمياء وغيره من العلوم ، وقد قال العلماء : إنه من المولّد المقيس على كلام العرب»[1] .

فاستعمال المصدر الصناعى ، فى موقف لا يغنى عنه مصدر سواه ، إما لتعذر الصياغة ، أو لعدم وفاء المصدر الآخر بما يفى به المصدر الصناعى ، كلفظ

(١) النحو الوافى جـ ٣ - هامش ص ١٨٧ .

«الوطنية» مثلا ، فاللفظ هنا مصدر صناعى ، وهو فى استعماله فى عبارة أو جملة من الجمل ، يؤدى من الدلالة والإيجاز مالا يؤدى إليه المصدر الأصلى أو الميمى أو غيرهما .

وكذلك استعمال كل مصدر في موقف ، لايغني عنه استعمال مصدر غيره .

وخلاصة القول أن كل مصدر من مصادر الأفعال في اللغة العربية إنما هو كيان قائم بذاته يؤدي معني لا يؤديه غيره من المصادر . ولقد غُمَّ علينا هذا المفهوم . فظننا أن تعدد المصادر لا يأتي بجديد في التعبير في الوقت الذي يعتبر فيه تعدد المصادر إضافة لمقدرات اللغة العربية التي انبنت على معايير كانت أهلا لأن يتخذها الله - جلَّ وعلا - سبيلا في خطابه إلى الناس أجمعين وتلك - أيضًا - إشارة إلى أننا لا ندرك كيف نصل اللسان بهذه اللغة الجليلة .

منهج عرض الأفعال الثلاثية ومصادرها فى الجداول التالية

١- روعى اختيار الأفعال التى يكثر دورانها على الألسن فى عصرنا هذا ، ذلك لما هو واضح من الفرق بين عرض الأفعال الثلاثية هنا ، وعرضها فى المعاجم العامة .

فالمعجم العام لا يقف عند حد المستعمل أو غير المستعمل ، بل يعرض لمادة الفعل فى إطار ما استعملت فيه قديما وحديثا ، ليكون مصدرًا لمعرفة معانى الكلمات التى تناولها الكلام العربى على إطلاقه . وليس هذا بغاية لهذا الكتاب ؛ إذ هو مقصور على معرفة مصادر الفعل الثلاثى فى إطار ما هو شائع أو قريب من الشائع من الأفعال الثلاثية .

٢- جاء ترتيب الأفعال هنا ، على غير المعهود فى الترتيب الهجائى فى المعجم العام فيما يتعلق بالأفعال معتلة العين بالألف الواوية ، أو بالألف اليائية، فمقتضى الترتيب المعروف ، أن تذكر الأفعال المعتلة العين بالواو جميعها ، ثم تليها الأفعال المعتلة العين بالياء ، حتى إذا تشابه فعلان فى صورة الماضى ، وإحداهما واوية العين، والآخرى يائية العين ، أحيلت كل منهما إلى موضعها فى الترتيب الهجائى .

خولف هذا الترتيب هنا ، وجىء بالفعلين المتماثلين فى الصورة ، وجمع بينهما فى مكان واحد ، فجُمع بين (تاه) التى مضارعها (يتوه) ، و (تاه) التى مضارعها (يتيه) ، وهكذا مع بقية الأفعال التى تتحد فى الصورة ، وتختلف فى أصل ألفها ، ليكون هذا الجمع بينهما أدعى إلى تحديد المعارف فى ذهن القارئ .

٣- اقُتصر فى بيان معنى الفعل ، على المعنى الذى يتعلق به صياغة المصدر وما تخلف من معانى الفعل عن هذه الصفحات ، يُرجع إليه فى المعاجم العامة .

٤- عرض الكتاب لزوم الفعل أو تعديه ، للإفادة من ذكرهما فى الإعراب . كما ذكر الفعل المضارع مع ضبط حركة العين ، إيضاحا للعلاقة بين حركة عين المضارع ومصدره .